ولا يمر أسبوع إلا ونسمع صوت مكبرات الصوت تعلن منع التجول فنفهم أن أحد الفدائيين قد نفذ عملية ضد قوات الاحتلال بإلقاء قنبلة يدوية أو إطلاق النار على إحدى الدوريات. مرة أخرى تحاول قوات الاحتلال اقتحام المخيم فيتصدى لها الفدائيون فترجع خائبة الشيء الجديد الذي حدث هذا العام هو استشهاد "أبي يوسف" (جارنا) فقد خرج أبو يوسف برفقة شابين آخرين لينفذوا إحدى عملياتهم الفدائية ضد دوريات الاحتلال. كانت الخطة أن يلقي أحد الشبان قنبلة على الدورية التي تمر يومياً من الشارع العام في نفس الساعة، وينسحب بحيث يجعلهم يرونه وهو ينسحب. وفي طريق انسحابه يكمن أبو يوسف والفدائي الآخر ببنادق الكارلوستوف والقنابل اليدوية، في انتظار التعزيزات التي تأتي لملاحقته، وبالفعل فقد تقدم ذلك الشاب ليقوم بمهمته، وبينما هو في انتظار الدورية هاجمه الجنود من الخلف، وهاجموا أبا يوسف وزميله إبراهيم فجأة، وأطلقوا عليهم النار فاستشهدوا على الفور.

هذه المرة لم تفرض قوات الاحتلال حظر التجول على المخيم، خرج المخيم عن بكرة أبيه، رجاله ونسائه، كباره وصغاره، من بيوتهم وغالبيتهم كانوا يبكون على استشهاد أبي يوسف، وجرت للشهداء جنازة مهيبة شارك فيها كل سكان المخيم وهم يهتفون: بالروح بالدم نفديك يا شهيد...بالروح بالدم نفديك يا فلسطين، وطافت الجماهير بالنعوش أنحاء المخيم عدة مرات، ثم أخذوهم ليدفنوهم في المقبرة القريبة. عصر ذلك اليوم أخذني جدي معه إلى زاوية الدار حيث يجتمع عدد من رجال وشيوخ الحارة يتحدثون ويتسلون ويناقشون أحداث الساعة وآخر التطورات، طبعاً كان حديث اليوم استشهاد أبي يوسف ورفيقيه، والجميع كانوا مندهشين مما حدث، أحد الرجال قال: الجماعة أُخذوا على حين غفلة (الجماعة انخدعوا) وتساءل آخر كيف كان ذلك؟ فأجابه صاحبه: إطلاق النار كان من خلف ظهورهم يعني من عكس الجهة التي كانوا ينتظرون العدو منها، فتساءل ثالث: ماذا تقول يا رجل! فأجابه (زي ما سمعت) فتساءل جدي هل يعني هذا أنه غدر وخيانة؟ فقال الرجل (أنا عارف! ايش عرفني هذا اللي صار) فردد أحدهم (والله اشي بطير العقل) الله يرحمك يا أبا يوسف ويعوضنا فيك عوض الخير.

بعد عدة أيام وقد قاربت الشمس على الغروب واقترب موعد فرض نظام منع التجول كالعادة، وبينما كنا نلعب في الحارة، وإذ بعدد من الفدائيين الملثمين المسلحين يملأون المكان وكل واحد منهم يأخذ موقعه على رأس الأزقة، ثم جاء "أبو حاتم" وهو يجر أحد رجال المخيم من أذنه وهو في أذل شكل وأخزى صورة، كانت بيد أبي حاتم عصا خيزران وبندقية معلقة في كتفه، توقفنا جميعاً عن اللعب، وبدأ أهل الحي يتجمعون ويطلون من بيوتهم، وقف أبو حاتم والعصا بيده وذلك الرجل يحاول إخفاء وجهه بين يديه ويثني جسده ليلصقه قدر المستطاع.